الامام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام في الشعر العربي

شعر الشيخ جعفر الهلالي أنموذجاً

الأستاذ الدكتور خليل عبد السادة إبراهيم الهلال
الجامعة الإسلامية ـ النجف الأشرف
Khaleel.alhelali@iunajaf.edu.iq

Imam Ali bin Musa al-Rida (peace be upon him) in Arabic poetry Sheikh Jaafar's poetry as a model

Prof. Dr. Khaleel Abdul Sada Ibraheem AL.helal
The Islamic University - Al Najaf Al Ashraf

الملخص:-

الامام الرضا عليه السلام لم يكن، في بنائه الفكري والنفسي، يختلف عن آبائه الأئمة عليهم السلام، إذ كان، كما كانوا، مقبلا على الله تعالى، متمسكا بطاعته، عالما بأحكام دينه، زاهدا في الدنيا ومباهجها، ساعيا لقضاء حاجات المحتاجين، فضلا عن الثروات العلمية الهائلة التي يمتلكها، والتي شملت جميع ألوان العلوم والمعارف.

كانت هذه الصفات تدعوا الى أن يلتفت الشعراء قديما وحديثا الى شخصية الامام عليه السلام، فراحوا يرسمون، في أشعارهم، ملامح هذه الشخصية.

وكان الشاعر الشيخ جعفر الهلالي من أولئك الشعراء الذين رسموا، بأشعارهم، ملامح شخصية الامام الرضا عليه السلام، دون أن يغفلوا التأكيد على انتمائه الى الرسول الكريم صلى الله عليه وآله، ما أثار مخاوف الخلافة العباسية (المأمون)، الذي سعى الى الحدّ من خطره، فأبعده عن مدينة جدّه، وعقد، في (خراسان) الندوات العلمية والفكرية، التي اجتمع فيها أصحاب المذاهب المختلفة لمناظرة الامام عليه السلام رغبة في التقليل من شأن الامام العلمي ومكانته الاجتماعية، ولكنّ الامام عليه السلام، بثروته العلمية، التي شملت جميع ألوان العلوم والمعارف من فلسفة وعلم الكلام والطبّ ونحوها، قد خيّب أمل المأمون، ما دعاه الى أن يتخلّص منه، فدسّ إليه السمّ.

الكلمات المفتاحية: الرسول الأعظم، الامام، الشيخ جعفر، المأمون، المناظرات.

Abstract:-

Imam al-Ridha (peace be upon him) was not, in his intellectual and psychological construction, different from his forefathers the imams (peace be upon them), as he was, as they were, approaching God Almighty, clinging to His obedience, knowing the provisions of his religion, ascetic in the world and its joys, striving to fulfill the needs of the needy As well as the enormous scientific wealth he possessed, which included all colors of science and knowledge.

These qualities called for the poets, past and present, to pay attention to the personality of the Imam (peace be upon him), so they began to draw, in their poems, the features of this character.

The poet Sheikh Jaafar Al-Hilali was one of those poets who drew, with their poems, the features of the personality of Imam Al-Rida (peace be upon him), without neglecting to emphasize his belonging to the Noble Messenger (may God bless him and his family), which raised the fears of the Abbasid Caliphate (Al-Ma'mun), who sought to Reducing his danger, so he distanced him from the city of Jeddah, and held, in (Khorasan) scientific and intellectual symposiums, in which the owners of different sects gathered to debate the Imam (peace be upon him) with a desire to belittle the scientific Imam and his social status, but the Imam (peace be upon him), with his scientific wealth , which included all kinds of sciences and knowledge such as philosophy, theology, medicine and the like, disappointed al-Ma'mun, which prompted him to get rid of it, so he poisoned him.

key words: The Greatest Messenger, Imam, Sheikh Jaafar, Al-Mamoun, debates.

المقدمة:ـ

لم يكن الامام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام، في بنائه الفكري والنفسي، يختلف عن آبائه الأئمة عليهم السلام، إذ كان، كما كانوا، مقبلا على الله تعالى، منقطعا إليه، متمسّكا بطاعته، عالما بأحكام دينه، زاهدا في الدنيا ومباهجها وزينتها، ساعيا لقضاء حاجات المحتاجين، معينا للضعفاء، مغيثا للمحرومين[١].

فهو عليه السلام يحدّد لنا نظرية الإسلام في علاقات الانسان مع أخيه الانسان عمليا، إذ نستلهم من سلوكه فكرة إلغاء الإسلام للفوارق الطبقية القائمة بين الافراد والجماعات في مجال الحقوق العامة، وأنّ الفارق الذي يجب ملاحظته في هذه الحالات هو إطاعة الله ومعصيته[٢].

وهذا السلوك العملي استمده عليه السلام ميراثا نقيا من جده الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، الذي توّج رسالته بشعار الأخلاق حين قال:((بعثت لأتمّم مكارم الأخلاق))، وقد شهد كثير من العلماء بفضله وسمو أخلاقه[٣]، فضلا عن الثروات العلمية التي يمتلكها الامام عليه السلام، والتي شملت جميع ألوان العلوم والمعارف من الفلسفة وعلم الكلام والطب ونحوها، وهذا ما عكسته مناظراته مع كبار الفلاسفة والعلماء الذين جلبهم المأمون من مختلف أقطار البلاد وأمصارها الى (خراسان)، لامتحان الامام عليه السلام[٤].

وقد أجمل عبدالله بن مطر[٥] ملامح صورة أهل البيت عليهم السلام في النفوس والذهان بقوله مجيبا المأمون عندما سأله: ما تقول في أهل البيت؟ ((ما قولي في طينة عجنت بماء الرسالة، وغرست بماء الوحيّ، هل ينفح منها غير إلّا مسك الهدى وعنبر التقى))[٦].

وكانت هذه الصفا مدعاة الى أن يلتفت الشعراء الى شخصية الامام عليه السلام، كما التفتوا الى آبائه عليهم السلام، فراحوا يسجّلون هذه الجوانب المضيئة في أشعارهم.

قال أبو نواس عندما قابل الامام الرضا عليه السلام وهو خارج على بغلة قائلا له: يا ابن رسول الله، قلت فيك أبياتا أحبّ أن تسمعها منّي. وبادر الامام عليه السلام قائلا: قل، فانبرى أبو نواس قائلا:

مطهـــــرون نقيـــــات ثيابهـــــم ... تجـــري الصـــلاة عليـــهم كلمـــا ذكـــروا
مـــن لم يكـــن علويـــا حـــين تنســـبه ... فمـــا لـــه في قديـــم الـــدهر مفتخـــر
والله لمـــا بـــرا خلقـــا فصـــوّره ... صـــفّاكم واصطفاكـــم أيّهـــا البشـــر
أولئـــك القـــوم أهـــل البيـــت عنـــدهم ... علـم الكتـاب ومـا جـاءت بـه السـور[٧]

ولا أريد، هنا، أن أذكر ما قيل في أهل البيت عليهم السلام من أشعار، فهي كثيرة في مصادر الأدب ومراجعه، بل إنّ ما يعنيني هو أن أجمع ملامح الصورة التي رسمها الشاعر الشيخ جعفر الهلالي في شعره للإمام الرضا عليه السلام، وهي، في الوقت نفسه، أنموذجا لصورة أهل البيت عليهم السلام.

والشاعر الشيخ، عندما يحدّد معالم شخصية الامام الرضا عليه السلام لا يحدّد تلك المعالم بعيدا عن معالم صورة آبائه أئمة أهل البيت عليهم السلام، الذين نزّهوا عن كلّ صفات النقص، يقول عن الامام الرضا عليه السلام:

ســـبط الرســـول وفـــرع مـــن أرومتـــه ... مـــن شـــرّف الله فيـــه العجـــم والعربـــا
مـــنزّه عـــن صـــفات الـــنقص طاهـــرة ... منـــه الثيـــاب تســـامى عـــزّة وإبـــا
مـــن معشـــر لهـــذا الخلـــق ســـادته ... مـــن حـــبّهم في كتـــاب الله قـــد وجبـــا
آل الرســـول وهـــل تحصـــى مناقبـــهم ... عـــدّا وهـــل يبلـــغ المعشـــار مـــن كتبـــا[٨]

والشاعر، في الوقت الذي يجمل فيه صفات الكمال، التي اتصفت بها شخصية الامام الرضا عليه السلام: ((منزّه من صفات النقص))، وبهذه الكناية ((طاهرة منه الثياب))، التي أكّدت هذا التنزيه عن صفات النقص، وقوله:

فلـم يعهـد التـاريخ في كـلّ مـا مضـى ... ومـــا هـــو آت مـــثلكم في الســـجية
فـــذاتكم قـــد جـــاوز الطهـــر حـــدّها ... وشخصـــكم حـــاز العلـــى بالفضـــيلة[٩]

وقوله:

فكـــان الرضـــا خيـــر البريـــة كلّهـــا ... بعلـــم وحلـــم واعتـــدال ســـجية
وأطهـــرهم نفســـا وانـــداهم يـــدا ... وأصـــدقهم زهـــدا لـــدنيا دنيـــة

لـــذا كانـــت البصـــار تنظـــر نحـــوه ... لـدى أمـة الإسـلام مـن كـلّ فرقـة(١٠)

وقوله:

أأبـــا (الجـــواد) وحســـب شـــعري أنّـــه ... في يـــوم مولـــدك المبـــارك ينشـــر

قدّسـت ذاتـك يـا ابـن بنـت محمـد ... ذاتـا يجـلّ عـن الثنـاء وتكـبر

مـاذا أعـدّد مـن عـلاك فأنـت فـي ... دنيـا الفضـائل كالسـحائب ممطـر

تمضـي الـدهور ونـور فضـلك مشـرق ... وصـدى عـلاك علـى المـدى يتكـرّر

وخلائـق لـك كالنسـيم عذوبـة ... شـمخت فقصّـر عـن مداهـا المخـبر

مشـت الحـداة بـذكرها مزهـوّة ... لجمالهـا بيـن العوالـم تنشتـر

هاتيـك فيـك سـجية موروثـة ... لا تنثنـي عنهـا ولا تتقهقـر(١١)

ففي الأبيات إشارة الى ما ذكرناه بأنّ الشاعر الشيخ، وهو يرسم صورة شخصية الامام الرضا عليه السلام، لا ينسى أن يذكر صراحة أو تلميحا الى أنّ شمائله هي شمائل آبائه الأئمة عليهم السلام: ((هاتيك فيه شمائل موروثة)).

فهو، في كلّ ذلك يؤكّد انتماء الامام الرضا عليه السلام الى الرسول الكريم صلى الله عليه وآله: ((سبط الرسول وفرع من أرومته))، ((من معشر))، ((آل الرسول))، ((من حبّهم في كتاب الله قد وجبا))، والشاعر، هنا، يشير الى قوله تعالى: ((قل لا أسألكم عليه أجرا إلّا المودّة في القربى))(١٢).

وبهذه الإشارة أراد الشاعر أن يذكّر بمكانة أهل البيت عليهم السلام، وما أودعه الله تعالى من حقّ لهم في أعناق عباده، وهذا المعنى نجده في قوله:

ولّاكم الفرض الذي جاء نصّه بخير كتاب منزّل بالحقيقة(١٣).

وهذا الحرص على ذكر انتماء الامام الرضا عليه السلام الى آل الرسول صلى الله عليه وآله نلحظه في أبيات أخرى نظمها الشاعر وهو متوجّه الى زيارة قبر الامام الرضا عليه السلام، حيث يقول:

ســـلام علـــى ذاك الجنـــاب الـــذي ... حـــوى امامـــا نمتـــه طيّبـــات المناســـب

هـــو ابـــن رســـول الله وابـــن وصـــيّه ... عليّ بـن موسـى خـير مـاش وراكـب(١٤)

وهذه المكانة السامية المقدسة في نفوس المسلمين للأئمة عليهم السلام انعكست على البلاد التي دفنوا فيها، لذا نجد الشاعر الشيخ يشير الى هذا المعنى، الذي رسخ في نفسه وفي ذهنه، فيقول:

يمّم (خراسان) واقصد ظلّها الرحبا ... وانشر بها من قريض الشعر ما عذبا
وحيّها تربة تسمو بروعتها ... فها هنا المجد صرح ينطح الشهبا
مجد له في سما العلياء مؤتلق ... ما زال يخترق الأجيال والحقبا[١٥]

وهذه القدسية جعلت نفوس المسلمين تهوي الى تلك البلاد، وتشعر بالراحة والاطمئنان والسعادة، إذ إنّها حظيت ((بنيل الرغائب))، وهذا ما تضمنه قوله:

لقبرك يا ابن الأكرمين الأطايب ... قصدت ولي شوق يحثّ ركائبي
فلاح على بعد سناك لناظري ... فقصّر عنه نور تلك الكواكب
وفاح أريج المسك يذكتو بروضة ... تحفّ بها الأملاك من كلّ جانب
وقد لمست كفّي الضريح وجدتني ... كأسعد من يحظى بنيل الرغائب[١٦]

وقدسية هذه الأراضي أكدها الشاعر الشيخ بقوله:

قف في (خراسان) وشمّ ترابها ... فترابها المسك المداف الأذفر
قل إن حللت بأرضها وفنائها ... بوركت أرضا بالامام تنوّر
قد حزته شرفا بملتحد به ... سرّ الوجود وركنه والمحور
قبر تضمّن بضعة لمحمد ... هو من سنا ذاك الجناب مصوّر
أبدا تطوف ببقعة ميمونة ... مثل الحجيج مهلّل ومكبّر
وتروح تلثم للضريح بلهفة ... وبذاك للفضل الكبير تؤشّر
هذي المظاهر لا تزال على المدى ... ما بين أبناء البرية تظهر
فلها بذلك من قديم زمانها ... وطر به الحبّ العميق تضوّر[١٧]

وهذه السمات التي اتصف بها أئمة أهل البيت عليهم السلام جعلت نفوس المسلمين تهوي إليهم، وتتأثّر بأخلاقهم، وتؤمن بأقوالهم، وتتغيّر تبعا لذلك ما كانوا يؤمنون به، أو يميلون إليه: ((من حبّهم في كتاب الله قد وجبا))، وهذا الأمر قد أشار إليه، أيضا، بقوله:

والكاظم الغيظ يحيي ذكره خلف ... حيث الامامة يتلوه بها عقب
أكبرته علما تهدى النفوس به ... إلى الحقيقة نهجا مشرقا لحبا
يا من غدوت من الباري بقيته ... على العباد يزيل الشكّ والريبا[١٨]

فبهم يستهدي الناس الى الطريق السوي:

وبالتقى هذه الآثار مشرعة ... أعلامها للهداة السادة النجبا
على الطريق مصابيح منوّرة ... ما خاب من بهم استهدى وما نكبا[١٩]

وقوله:

ولكم كشفت عن النفوس غشاوة ... فيما أفدت فأصبحت تتبصّر[٢٠]

والامام عليه السلام، كما أشار الشاعر الشيخ، في هدايته للناس، ارشادهم، قد نهج له منهجا لبلوغ هدفه، وقد سجّل ذلك في شعره قائلا:

يا ابن الغطارف من بني عمرو العلى ... عفوا فشعري عن مقامك أقصر
من قبل ألف والرسالة غضّة ... تهب الحياة بما يطيب ويثمر
شيّدت صرح المجد يشمخ عاليا ... بأفقها عند النجوم بأفقها تتأخّر
وشرعت للإسلام نهج هداية ... هو للذي رام الحقيقة مصدر[٢١]

وذكرها أيضا في قوله:

وأطهرهم نفسا وأنداهم يدا ... وأصدقهم زهدا لدنيا دنيّة
لذا كانت الأبصار تنظر نحوه ... لدى أمة الإسلام من كلّ فرقة[٢٢]

فكان أئمة أهل البيت عليهم السلام، كما سجل الشاعر الشيخ في ختام قصيدة له، وسائل تقضى بهم الحاجات: ((وأنت ذريعتي))، وأنّ حبّهم شعار لهم مدى الحياة:

فيا ابن كظيم الغيظ موسى بن جعفر ... تقبّل نظاما صغت فيه محبّتي
....
فخذها من العبد المحبّ هدية ... وفوزي إذا ما قد قبلت هديّتي
وقدّمت حاجاتي إليك ولم أزل ... أرجّى بأن تقضى وأنت ذريعتي

ولي فيك حبّ فهو لي دون غيره ... شعار مدى عمري لوقت منيّتي
وكن لي شفيعا يوم حشري في غد ... لتكفير ذنبي واغتفار خطيئتي[٢٣]

ولم يغفل الشاعر الشيخ الملمح العلمي في شخصية الامام الرضا عليه السلام، وما تمتّع به من قدرة على المحاورة والمناظرة، استطاع بها أن يفنّد ادعاءات المنحرفين والطامعين، من ذلك تفنيد زعم من ذهب الى أنّ الامام موسى بن جعفر عليه السلام لم يمت، رافضين الاعتراف بإمامة عليّ بن موسى الرضا عليه السلام، إذ انتشر في عصره (مذهب الواقفية) بين صفوف الشيعة، وقد ذهب أصحاب هذا المذهب ((الى أنّ الامام موسى بن جعفر عليه السلام حيّ لم يمت، ولا يموت، وأنّه رفع الى السماء كما رفع المسيح بن مريم، وأنّه هو القائم المنتظر، الذي يملأ الأرض قسطا وعدلا بعدما ملئت ظلما وجورا، وزعموا أنّ الذي في سجن السندي بن شاهك ليس هو الامام موسى عليه السلام، وإنّما شبه وخيّل الى الناس أنّه هو))[٢٤].

وقد ذكر أنّ سبب الوقف يعود الى أنّ الذين نصّبهم الامام موسى عليه السلام وكلاء له طمعوا بأموال الحقوق بعد موته مدّعين أنّه لم يمت، وأبوا أن يسلّموا الأموال الى الامام الرضا عليه السلام عندما طلبها منهم بوصفه الامام الذي نصّ عليه أبوه الامام موسى بن جعفر عليه السلام.

أنكر الامام الرضا عليه السلام على دعاة الواقفية ما ذهبوا إليه، فقد كتب إليه بعض شيعته يسأل عنهم، فأجابه عليه السلام: ((الواقف حائد عن الحقّ، ومقيم على سيّئة، إن مات لها كانت جهنم مأواه وبئس المصير))[٢٥].

وقد سجّل الشاعر الشيخ ذلك في شعره قائلا:

ويا إماما تحدّى في إمامته ... اهل الضلال وإن راموا به نكبا
قالوا قفية أغرتها مطامعها ... غداة راحت تحيك الزور مكتسبا
قد أنكرت لأبيك الطهر موتته ... وصوّروا أنّه قد غاب واحتجبا
فرحت تبطل ما حاكوا وما برموا ... بثاقب من دليل الحقّ قد لهبا
حتى شمخت وقد هدّت مطامعهم ... وزيّفوا وتلاشوا بعد ذاك هبا
سبحان ربّك لم يترك شريعته ... نهبا فأعطاك منه النصر والغلبا[٢٦]

حاول المأمون أن يقلل من شأن الامام الرضا عليه السلام، الذي ذاع صيته، وزاد أثره في نفوس المسلمين في المدينة المنوّرة: ((دوّى صداك))، ((لك شعلة وضّاءة))، ((وهل يضيع الجوهر))، ومن أجل الحدّ من هذا النفوذ في نفوس المسلمين سارع المأمون الى استقدام الامام عليه السلام الى (خراسان)، وقد خاب ظنّه، وقد سجّل الشاعر هذه الحادثة بشعره قائلا:

يا لابسا ثوب الامامة والتقى ... عن لبسه هذي الخلائق تقصر
دوّى صداك فكنت في دنيا الورى ... علما وهل يخفى الصباح المسفر
جهتتد العداةُ ليطفئوا لك شعلة ... وهّاجة فأبى الاله الأكبر
أقصوك عن حرم الرسالة عنوةً ... كي يغمروك وهل يضيع الجوهر
فالشمس إن حجب السحاب شعاعها ... في الأفق فهي بنورها تستأثر
وكذا الجبال فلن يهدّ شموخها ... برد تراكم وقعه المتكثّر
وذا (خراسان) تضمّك رائدا ... فذّا بأبراد العلى يتأزّر[٢٧]

وفي (خراسان)، بعد أن فشلت محاولته الأولى، وهي استقدام الامام عليه السلام إليها، حاول المأمون في (خراسان) محاولته الثانية سعيا لتحقيق ذلك الهدف، إذ اقترح على الامام عليه السلام أن يكون هو الخليفة بعد أن يتنازل المأمون عن الخلافة، ولكنّ رفض الامام عليه السلام لهذا الاقتراح، دفع المأمون الى أن يقترح عليه ولاية العهد مشدّدا على الامام عليه السلام ضرورة القبول بها، فقبلها الامام تحت التهديد، ولكن بشروط، فقال الشاعر مسجلا هذه الحادثة:

أأبا الجواد وقد بليت بمحنة ... ما كان غيرك عندها يتصبّر
واجهتها ولأنت تعلم إنّها ... غدر لطاغية الزمان يدبّر
أدّى لك المأمون منه سياسة ... إذ راح يظهر عكس ما هو يضمر
حيث ارتضاك وليّ عهد خلافة ... زعما بأنّك شخصها والأجدر
وبذاك خالف ما بنت أسلافه ... من خطّة جاروا بها وتجبّروا
وبأنّه متشيّع في فعله ... هذا وأصبح للولاء يصوّر
لكنّما هي غفلة واف بها ... من راح في سرد الحوادث يذكر
فسياسة المأمون في منهاجها ... لم تختلف وهي السبيل المنكر

لكن تبدّلت الوسائل عنده ... فيها وقد تملي الظروف وتظهر
حيث الأمور بعهده قد أصبحت ... خطرا يهدّد حكمه أو ينذر
فقد يواجه ما يراه بخطة ... منه ليخدع من بها يتأثّر
وسياسة ملعونة وافى بها ... فعساه يهدأ وضعها المتوتّر[٢٨]

وعلى الرغم من أنّ المأمون قد أسند ولاية العهد الى الامام عليه السلام إلّا أنّه كان يضمر له العداء، فكان يختلق الظروف التي يظنّ أنّه يسيئ بها الى الامام عليه السلام، ويخفض من مقامه، وهذا ما أشار إليه الشاعر بقوله:

قد رام خفض مقام أنت صاحبه ... فكان كالوعل أفنى قرنه فنبا
يريد إطفاء نور الله في حنق ... والله يأبى سوى ما خطّ أو كتبا[٢٩]

إذ كان، في داخله، يحبّ سقطات الامام الرضا عليه السلام، إذ حاول المأمون في مواطن شتى افحام الامام عليه السلام في معترك الحوار المعقد مع سائر الفرق والملل وأصحاب المذاهب المختلفة، فكان يعقد الندوات العلمية والفكرية، ويدعو لها من عمالقة الفكر، وزنادقة العصر، وأصحاب الجدل، وكان الامام عليه السلام، في جميع تلك الندوات يخرج منتصرا على خصومه بما يملكه من قدرة علمية فائقة، إذ كان عليه السلام يدحض حججهم، فكان يحتجّ على أهل التوراة بتوراتهم، وأهل الانجيل بانجيلهم، وعلى أهل الزبور بزبورهم، وعلى أهل الهرابذة بفارسيتهم، وعلى أهل الروم برروميتهم، وعلى أصحاب المقالات بلغاتهم، ما خيّب آمال المأمون، وجعله يشعر بالندم[٣٠].

وقد سجّل الشاعر هذا الجانب من حياة الامام عليه السلام في شعره قائلاً:

يا من به الدين ألفى دعائمه ... مصانة حيث كنت الدرع واليلبا
شيّدته بعظيم الفكر تنشره ... وعيا هزمت به للكفر ما جلبا
قارعتها حججا واف به نفر ... من كلّ طائفة قد أجلبت عصبا
ولا غرابة يا ابن الأكرمين إذا ... ما لاح شخصك في دنيا الهدى شهبا
فأنت للعلم والعرفان وارثه ... من أحمد فاض كالبركان وانسكبا[٣١]

وقوله في ذكر هذه المناظرات، وهزيمة أعداء الإسلام:

ناظرت أصحاب المبادئ حيث قد ... وافتك وهي بردّها تتحيّر
فهزمتها فاذا بها وبفكرها ... وهو السراب بقيعة يتبخّر
حتى تجلّى الحقّ منبلج السنا ... ولأنت معدن فيضه المتبحّر[٣٢]

ولم تقتصر علوم الامام الرضا عليه السلام على أحكام الشريعة الإسلامية، وإنّما شملت جميع أنواع العلوم، التي منها علم الطب، فقد وصف الامام بأنّه ((كان علما من أعلامه، ومتمرّسا بجميع فروعه وجزئياته))[٣٣]، وهم يستدلون على ذلك بالرسالة التي سمّاها المأمون بـ (الرسالة الذهبية)، وفيها وضعت البرامج العامة لإصلاح بدن الانسان ووقايته من الإصابة بالأمراض[٣٤].

وقد أشار الشاعر الى هذه الرسالة بقوله:

فأنت للعلم والعرفان وارثه ... من أحمد فاض كالبركان وانسكبا
حتى عدوّك لم يبخل عليه بما ... وضعت من منهج للطبّ قد نسبا[٣٥]

ولم يجد المأمون بدّا من أن يتخلص من الامام الرضا عليه السلام، ((الذي شاع ذكره في جميع أنحاء العالم الإسلامي، فقد ظهرت للعيان دلائل إمامته، وهام المسلمون بحبّه، وذلك لما يتمتّع به من معالي الأخلاق، وسمو الآداب، والاقبال على الله، والزهد في الدنيا، وغير ذلك من صفاته العظيمة))[٣٦].

سجّل الشاعر تنفيذ المأمون ما أضمره في نفسه، وهو التخلّص من الامام عليه السلام، بعد أن شعر بأنّ وجود الامام عليه السلام يهدّد وجوده، قائلا:

وقد فكّر المأمون أنّ وجوده ... يهدّد إن لم يفتديه بحيلة
فحاول تقريب الامام لحكمه ... بإعطائه عقد الولا لحكومة
ولم يك فيها صادقا غير أنّه ... أراد بها سدّا لأية ثورة
وقد كان سبط المصطفى عارفا بها ... وما كان يخفى عنه أمر للحظة
وقد كان يبدي رفضه لعروضه ... ولم ير بدّا من قبول لبيعة
وبان الذي قد كان أخفى أمتره ... فواجه مولانا الامام بغدرة
فدسّ له سمّا نقيعا فغاله ... بأرض خراسان ومات بغربة

ولكنّـــه مـــا زال حيّـــا بـــذكره تواكبـــه دنيـــا الـــورى بالتحيـــة[٣٧]

وبذلك أنهى المأمون حياة الامام الرضا عليه السلام ظانّا أنّه تخلّص منه، وأخفى آثاره، وكان ذلك، على أحد القوال، بطوس في أرض خراسان في صفر سنة ثلاث ومائتين، وقد غاب عنه أنّ الامام الرضا عليه السلام ((ما زال حيّا بذكره تواكبه دنيا الورى بالتحيّة)).

هوامش البحث

(١) ظ. موسوعة سيرة أهل البيت عليهم السلام: ١٢/٣٠

(٢) ظ. الامام الرضا عليه السلام – تاريخ ودراسة: ٩٥

(٣) ظ. الامام الرضا عليه السلام: ٩٩، موسوعة سيرة أهل البيت عليهم السلام: ٤٢/٣٠ وما بعدها، سيرة الأئمة الاثني عشر عليهم السلام: ١٣٨

(٤) موسوعة سيرة أهل البيت عليهم السلام: ١٥/٣٠

(٥) من أعلام الفكر والأدب في عصره.

(٦) بحار الأنوار: ٧١/١٢، ظ: عيون أخبار الرضا عليه السلام: ١٥٥/١، موسوعة سيرة أهل البيت عليهم السلام: ١٢/٣٠، قيل: ((إنّ هذه الكلمة ملكت قلب المأمون، وكان الامام الرضا عليه السلام حاضرا في المجلس، فأمر المأمون بأن يحشى فم عبدالله لؤلؤا)).

(٧) الفصول المهمة في معرفة أحوال الأئمة عليهم السلام:٢٣٧-٢٣٨، عيون أخبار الرضا: ٣٥٦، موسوعة سيرة أهل البيت عليهم السلام: ٦٣/٣٠

(٨) ديوان الشيخ جعفر الهلالي: ٣٠٢/١

(٩) المصدر نفسه:

(١٠) المصدر نفسه:

(١١) المصدر نفسه: ١٧٤/٢-١٧٥

(١٢) سورة الشورى/٢٣

(١٣) ديوان الشيخ جعفر الهلالي: ٤١٣/١

(١٤) المصدر نفسه:٣٧٧/١

(١٥) المصدر نفسه: ٣٧٧/١

(١٦) المصدر نفسه: ٣٧٧/١

(١٧) المصدر نفسه: ١٧٤/٢-١٧٥

(١٨) المصدر نفسه: ٣٠٤/١

(١٩) المصدر نفسه: ٣٠٤/١

(٢٠) المصدر نفسه: ١٧٦/٢

(٢١) المصدر نفسه: ١٧٦/٢

(٢٢) المصدر نفسه: ٤٢٧/١-٤٢٨

(٢٣) المصدر نفسه: ٤٣٦/١-٤٣٧

(٢٤) موسوعة سيرة أهل البيت عليهم السلام: ٢٨٧/٣١-٢٨٨

(٢٥) المصدر نفسه:٢٨٩/٣١، ظ: بحار الأنوار: ٢٥٢/٤٨، وفي أمر الواقفة وموقف الامام الرضا عليه السلام منهم ينظر: الامام الرضا عليه السلام - تاريخ ودراسة: ١٢٧-١٤٠

(٢٦) ديوان الشيخ جعفر الهلالي: ٣٠٤/١-٣٠٥

(٢٧) المصدر نفسه: ١٧٥/٢

(٢٨) المصدر نفسه: ١٧٧/٢-١٧٨

(٢٩) المصدر نفسه: ٣٠٦/٣

(٣٠) الامام الرضا عليه السلام - تاريخ ودراسة:٣٢٧-٣٤٦، سيرة الأئمة الاثني عشر: ١٩١

(٣١) ديوان الشيخ جعفر الهلالي: ١م٣٠٥-٣٠٦

(٣٢) المصدر نفسه: ١٧٧/١

(٣٣) موسوعة أهل البيت عليهم السلام: ٢٦٧/٣٠

(٣٤) المصدر نفسه: ٢٦٧/٣٠، ونظرا لأهمية هذه الرسالة فقد عكف على شرحها وترجمتها جمهرة من العلماء نصّ عليهم في تقديم هذه الرسالة المحقّق السيد مهدي الخرسان. (ظ. موسوعة سيرة أهل البيت (أهل البيت عليهم السلام): ٢٦٨/٣٠

(٣٥) ديوان الشيخ جعفر الهلالي: ٣٠٦/١

(٣٦) موسوعة سيرة أهل البيت عليهم السلام: ٣١/ ٣٩٤، ظ: سيرة الأئمة الاثني عشر: ١٩٢، الامام الرضا عليه السلام - تاريخ ودراسة: ٢٧٣-٢٧٦

(٣٧) ديوان الشيخ جعفر الهلالي: ٤٢٨/١

قائمة المصادر والمراجع

إن خير مانبتديء به القرآن الكريم.

- الامام الرضا عليه السلام - تاريخ ودراسة - السيد محمد جواد فضل الله - تحقيق محمد صادق الغراوي- مؤسسة دار الكتاب الإسلامي - قم - ط١ - ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م
- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار - للعلامة محمد باقر بن محمد تقي المجلسي - تحقيق ونشر دار إحياء التراث - ط٤ - بيروت - ١٤٠٥هـ.

- ديوان الشيخ جعفر الهلالي - جمع وتحقيق أ. د. خليل عبدالسادة إبراهيم الهلال - دار الفرات للثقافة والاعلام - ودار سما للطبع والنشر والتوزيع - العراق - بابل.
- سيرة الأئمة الاثني عشر - السيد علي عاشور العاملي - منشورات الفجر - بيروت - لبنان - ط١ - ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.
- عيون أخبار الرضا عليه السلام- الشيخ الأقدم والمحدّث الأكبر أبي جعفر الصدوق - منشورات الفجر - ط١ - بيروت ٠ لبنان ز
- الفصول المهمة في معرفة أحوال الأئمة عليهم السلام - الامام الشيخ علي بن محمد بن أحمد المالكي الشهير بان الصباغ (ت ٨٥٥هـ) دار الأضواء - ط٢ - ١٤٠٩هت/١٩٨٨م.
- مكارم الأخلاق - الشيخ رضي الدين ابي نصر الحسن بن الفضل الطبرسي - مكتبة الألفين - الكويت - ط١ - ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.
- موسوعة سيرة أهل البيت عليهم السلام- باقر شريف القرشي - تحقيق مهدي باقر شريف - دار المعروف - مؤسسة الامام الحسن عليه السلام لاحياء تراث أهل البيت عليهم السلام - ١٤٣٧هـ / ٢٠١٦م.